المساجد العثمانية بمدينة وهران الجزائرية

Ottoman mosques in the Algerian city of Oran

د. محمد لعباسي Mohammed Labbaci

أستاذ مشارك / جامعة وهران -1- أحمد بن بلة، الجزائر- University of Oran1

الطالب/ عبد الناصر بختيBakhtiAbdenasser

طالب دكتوراه PHD student

ملخص المقالة: رغم قصر مدة الوجود العثماني بمدينة وهران الجزائرية، إلا أن فترة حكمه بها تميزت بنشاط معماري ضخم تمثل في بناء المساكن والحمامات، والأضرحة والقصور والأسواق والمساجد، وتعتبر العمائر العثمانية الدينية الأكثر عددا بين عمائر العصور الإسلامية السابقة، والتي لا تزال قائمة، ذلك أنها احتلت المكان الأسمى والمقام الأول بين أنواع المباني التي عكف العثمانيون على إنجازها.

ويهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على هذه المساجد العثمانية بمدينة وهران الجزائرية، ودورها في إعادة الواجهة الإسلامية إليها بعد ثلاثة قرون من الطمس الإسباني لها، ومن هذه المساجد التي شملتها الدراسة: مسجد الباشا، ومسجد الباي محمد الكبير، ومسجد الهواري محمد بن عمر.

الكلمات المفتاحية: وهران، الجزائر، الآثار العثمانية، الاحتلال الاسباني، المساجد.

الملخص باللغة الانجليزية:

Even with the short existence of the Ottmanianempire in Oran, it turns out that it has seen some huge architectural activities in building many structures such as houses, showers, palaces, also markets and mosques.

The Othmanian structures is considered to be the most religious buildings, comparing it to previous Islamic ages which now still exist thanks to its high historical location that the Othmas worked hard to be in that place.

This article aims to describe the Othamanian mosques in Oran which is the capital of Algeria and its role in redirecting the Islamic flag on it after it has been blurred by the Spanish colonization.

This study included the following mosques: The Mosque of Al Bach, The Mosque of Al Bay Mohamed Al Kabir, The Mosque of Houari Mohamed Ben Omar.

مقدمة:

عرفت مدينة وهران الواقعة على الساحل الغربي للجزائر توافد العديد من الأجناس البشرية إليها لأغراض مختلفة بداية القرن السادس عشر للميلاد نذكر منهم كل من الإسبان والبرتغاليين من شبه الجزيرة الإيبيرية والمرينيين من المغرب الأقصى والعثمانيين من المشرق الإسلامي حيث ترك كل منهم بصمته على الطابع المعماري للمدينة بدرجات مختلفة نظرا لتباين الفترات الزمنية لكل منهم (إسبانيا 270 سنة _ الأتراك 62 سنة) فبالمقارنة بين هاتين الفترتين يتضح أن المدينة أضحت ذات طابع أوربيإلاأن المتجول في أزقتها يجد أن بصمة العثمانيين واضحة جلية، وبالرغم من قصر مدة وجودهم بها،إلا انهم استطاعوا بعث الوجه العربي الإسلامي للمدينة المحررة،وخاصة المنشآت الدينية المتمثلة في المساجد والمدارس والمقابر والأضرحة وأملاك الوقف، ولعل أبرز هذه المنشآت هي المساجد الثلاث (الباشا والباي عثمان وسيدي الهواري)

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضوء على هذه المساجد العثمانية المذكورة ودورها في إعادة الحياة الإسلامية إلى مدينة وهران بعد ثلاثة قرون من الطمس الإسباني

كانت مدينة وهران القديمة تشتمل على عدد كبير من المساجد والزوايا قيل إنها تربو على الثلاثين،ولكن الإسبان عندما احتلوها عام 1509م خربوا معظمها، وحولوا الباقي إلى كنائس، والفعل نفسه قام به الفرنسيون حين احتلالهم للمدينة عام 1831م، مما يدل على مدى تعصبهم الديني والعرقي[1]

شهدت مدينة وهران فترتين من الحكم العثماني، الأولى (من سنة1708م إلى سنة 1732م) بحوالي 24 سنة فقط مقارنة بالفترة الثانية التي امتدت (من سنة 1792م إلىبداية الاحتلال الفرنسي 1831م) وبذلك تكون مدة حكم العثمانيين في هذه المدينة خلال الفترة الثانية هي 38 سنة فقط إلاأنها تميزت بنشاط معماري ضخم تمثل في بناء المساكن والحمامات، والأضرحة والقصور والأسواق والمساجد أهمها مسجد الباشا والباي ومدرسة خنق النطاح ومسجد سيدي الهواري، وتعتبر العمائر العثمانية الدينية الأكثر عددا بين عمائر العصور الإسلامية السابقة، والتي لا تزال قائمة، ذلك أنها احتلت المكان الأسمى والمقام الأول بين أنواع المباني التي عكف العثمانيون على تشييدها في وهران ما يدل على الامتزاج الثقافي والحضاري بين العثمانيين والسكان المحليين.

والملاحظ لسنوات البناء يجد أنها كانت بين سنتي 1792م و1799م وهي فترة تولي الباي محمد بن عثمان الكبير الذي أخذ على عاتقه مهمة إعمار المدينة لعدة أسباب نذكر منها:

- إزالة آثار الزلزال[2] الذي ضرب المدينة سنة 1791م والذي دمر نصف المدينة وقتل 3000 شخص

1مدينة وهران عبر التاريخ، يحي بوعزيز، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، جويلية 2008، ط2، ص166.

2- في الليلة ما بين 8 و 9 أكتوبر سنة 1790م على الساعة الواحدة صباحا، وقعت بمدينة وهران هزة أرضية عنيفة جدا دامت 3 دقائق حطمت كل منازل وهران تقريبا، وألحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرارا بالغة، ومات تحت الأنقاض، ثلاثة آلاف نسمة من سكانها وجندها، من بينهم الحاكم العام الإسباني بالنيابة دون نيكولا غارسيا، والتهمت النيران بعض السفن وأماكن أخرى، فانتشرت أعمال النهب واللصوصية بين الإسبان، واستمرت الهزات الأرضية الارتدادية تترى، إلى يوم 22 نوفمبر 1790م، واستؤنفت يوم 06

- إعادة المدينة إلى طابعها العربي الإسلامي بعد ما تعرضت له من طمس لثلاثة قرون من الاحتلال الإسباني
- الرقي بمكانة المدينة لتكون عاصمة نموذجية لبايلك الغرب[3]
- بعث النشاط الاقتصادي بمختلف جوانبه لتقوية الجانب الدفاعي ومواجهة الأزمات وتمويل الخزينة وتقديم الدنوش للداي

ومن المنشآت الدينية التي لازالت قائمة إلى اليوم نذكر المساجد التالية:

1- مسجد البرانية (أو بني عامر):

أ. تاريخه:أسس الباي مصطفى بوشلاغم عام 1708ممسجداللتجار الأجانب الذين يحضرون إلى مدينة وهران لغرض التجارة وذلك بالقرب من باب الجيارة[4] خارج السور، هدمه الإسبان عام 1732م، وأقاموا مكانه برج قورد[5]La tour Gourd الصبايحية ، لتدعيم برج ، ولكن الباي عثمان هدم هذا البرج عام 1801م، وأعاد تأسيس المسجد الذي بقي عامرا حتى 1844م ثم حوله الفرنسيون إلى كنيسة باسم القديس أندري، الذي كان يطلق على الحصن المجاور له وهو برج الصبايحية، وحولوا شكله في الداخل خاصة السقف الذي جعلوه على شكل بهو بهيئة حدوة الحصان من الشمال إلى الجنوب، وأغلقوا محرابه ولم يزيلوه لحسن الحظ[6]، وقد حولت كذلك إلى مسجد كما كانت في الأصل إحياء لتراث هذه المدينة التاريخي وذلك في نهاية السبعينات من القرن العشرين الماضي باسم الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح.[7]

جانفي 1791م، ينظر: احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار البعث، د. س. ط، قسنطينة، الجزائر، ص 524-525.

3-كان مقر باي الإيالة الغربية أو بايلك الغرب –إبان الاحتلال الإسباني لمدينة وهران– ينتقل من مستغانم إلى ما زونة،ثم إلى قلعة بني راشد،فمعسكر، ولما فتحت وهران –للمرة الأولى وغادرها الإسبان– انتقل إليها مقر الباي مصطفى أبي الشلاغم، ولما استرجعها الإسبان بعدما مكث فيها المسلمون 24 سنة، انتقل مقر الباي إلى مدينة مستغانم، ثم فتحها الباي محمد الكبير ونقل إليها مقر الإيالة الغربية نهائيا سنة 1206هـ/1791م، ينظر: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ت. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص 30.

4- يقع باب الجيارة شمال برج الصبايحية، وجنوب غرب منابع واد روينة، قرب مسجد البرانية الذي حوله الفرنسيون إلى كنيسة بجوار مدرسة عبان رمضان الحالية، ويؤدي إلى طريق تلمسان، ومعسكر، وسيدي بلعباس، وما يزال مكانه حتى اليوم، كما لا يزال الباب الأثري قائما تحت أيدي الجيش الشعبي الوطني، ينظر: يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق ص. ص 147-148.

5-كان يحمل في عهد الإسبان 15 مدفعا، ينظر: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، أحمد بن سحنون الراشدي، ت. المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، الجزائر، ص209.

6- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط. خاصة، 2009م، ص 41.

7-يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص. ص: 167-168.

ب . موقعه: يوجد هذا المسجد بجوار برج الصبايحية إلى الشرق من بقايا سور المدينة القديم، على الحافة الشرقية لوادي الرحي الذي يعرف بوادر رأس العين، فوق قمة المنحدر الذي تقع في سفحه البساتين التي كانت تعرف سابقا بـ "بحاير بوشلاغم".[8]

يشرف المسجد شرقا على ساحة كبيرة تلتقي عندها سبعة شوارع وأنهج، تقابله مدرسة عبان رمضان الابتدائية، وتحيط به في الجنوب والشمال والغرب مباني ملاصقة له ويمتد أمامه شرقا شارع طويل يبدأ من مبنى المسرح البلدي وساحة أول نوفمبر شمالا إلى برج الصبايحية جنوبا، ويمتد داخل درب اليهود القديم ذي الشوارع والأزقة المتعرجة، وإلى الشرق من المسجد والمدرسة على مسافة 100م يمتد شارع معطي الحبيب المزدوج من ساحة أول نوفمبر ومبنى البلدية شمالا إلى أقصى الدينة جنوبا باتجاه مدينة تلمسان ومدينة وجدة المغربية وهذا الشارع هو الذي يفصل المدينة القديمة عن المدينة الجديدة[9].

ج . أوصافه: قاعة الصلاة لهذا المسجد مستطيلة الشكل من الشمال إلى الجنوب، تحتوي على 13 عمود أو سارية سبعة أمامية وستة خلفية متوسطة العرض والارتفاع، دائرية مبلطة بالآجر الأزرق الفاتح ذو اللون السماوي، أقيم عليها رواق شبه دائري يحيط بالقاعة من الخلف والأمام واليسار امتدت عليه الأعمدة إلى السقف العلوي، اتخذ القسم الغربي من الرواق مكانا لأثاث المسجد والقسم الشمالي اليساري بمثابة قاعدة للتعليم والتدريس، وجزء من القسم الشرقي الأمامي على اليمين اتخذه مقصورة له، ولقاعة الصلاة مدخلان أماميان شرقا على يسار المحراب وفوقها مئذنة مربعة الشكل[10]

2- جامع الباي محمد عثمان الكبير ومقبرته بخنق النطاح:

أ . تاريخه: مدرسة خنق النطاح أو جامع الباي أسسه الباي محمد الكبير عام 1793م، ليكون بمثابة مثوى، وضريح له ولأهله بعد وفاتهم[11]، ولكنه لم يقدر له ذلك رغم أنه عاش حتى 1825م، لكونه نقل من وهران، وهناك من يعتقد أن هذه المدرسة كانت موجودة قبل الباي محمد الكبير، وتعطلت مهامها بسبب الاحتلال الإسباني للمدينة، ثم أحياها الباي ورممها فيما بعد.[12]وقد أغلقه الفرنسيون عشرات السنين ولم يسمحوا بفتحه إلا قبيل اندلاع ثورة التحريرالأخيرة بسنوات قليلة، ومنعوا الآذان فيه حتى لا يزعجوا السكان الأوروبيين حوله، الذين أحاطوه بعمارات شاهقة حتى يخفوه ويقللوا من شأنه تمهيدا لإزالته، ولكن كلمة الله هي العليا[13] فقد بقي صامدا ورحل الأوروبيون ولا يزال قائما إلى اليوم تؤدى فيه الصلوات.

8- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص 40.

9- يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص 42

10-المرجع نفسه، ص 42

11-الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ت. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي ج1، ط1، 1990م، بيروت، لبنان، ص 294.

12-بلبراوات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779-1797م)، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2002، ص 222.

13-يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ، ص 168.

بعد الحرب العالمية الثانية أخذ النواب الأهالي في المجلس البلدي لمدينة وهران يطالبون بفتح مقبرة مول الدومة في حي رأس العين للدفن بعد أن أغلقت، وباسترجاع مسجد ومدرسة وضريح الباي محمد بن عثمان الكبير، وكان المتزعم لهذه المطالب النائب المكي بن زعود الذي كان متزوجا من ابنة مدير جريدة صدى وهران: l'Echocd'Oran وأصله من مدينة الغزوات ويبدوا أنه كان منصرا ما دام متزوجا من هذه الأوروبية وعندما حصل على هذين المطلبين، سلم مفتاح مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير إلى الشيخ المصلح الطيب المهاجي، فاستعان بالرجال المصلحين في المدينة وقاموا بجمع الأموال اللازمة لتنظيفه من الأوساخ والقاذورات ورمموا ما تخرب منه، وأصلحوا بيوت الوضوء وعين الشيخ الطيب المهاجيإماما فيه ويدعى الشيخ محمد الفليتي[14]

ب . موقعه: يقع المسجد في سهل خنق النطاح إلى الشرق من مدينة وهران القديمة على بعد كيلومتر ونصف، غير بعيد عن المنحدر الذي يشرف على البحر، كان هذا المسجد، أو المقبرة والضريح، معزولان عن المدينة بعيدا عن العمران، باعتباره مقبرة، لكن الفرنسيين حين توسعوا في عمران المدينة، وصلوا إليه واقتطعوا كثيرا من مساحاته في كل الاتجاهات، وأحاطوه بعمارات شاهقة ملاصقة له تماما في الشرق ومفصولة بممر في اليسار الشمالي، وبشارعين كبيرين في المؤخرة (الغرب)وعلى اليمين الجنوبي، ويبدو أن التخطيط كان يتجه لإزالته تماما بعد نقل رفاة الباي إلى مقبرة مول الدومة إن صحت الرواية وبين تضارب الآراء حول كونه مسجدا أو ضريحا ومقبرة فإن المئذنة ترجح احتمال كونه مسجدا.[15]

أوصافه: لم يكن مسجد الباي عند تأسيسه على ما هو عليه اليوم نظرا للتغييرات التي طرأت عليه من طرف الفرنسيين إبان الاحتلال والجزائريين بعد الاستقلال على حد السواء باختلاف الأهداف طبعا نوجزها فيما يلي:

- أزيلت الساحة الداخلية واقتلعت النخلة لتضافإلى قاعة الصلاة ووضع لها سقف شبيه بالسابق.
- استحدث للمسجد مدخل على اليسار الشمالي خصص للنساء، وآخر جنوبي لتفادي الإكتظاظ عند خروج المصلين.
- استحدث منبر للخطابة وضع في البيت الوسطى الأمامية التي كانت مقبرة.
- أغلقت الباب الداخلية المؤدية إلى بيت الوضوء واستحدثت باب خارجية غربا لإبقائه نظيفا.

وبهذه التحسينات والإضافات أصبح مسجد الباي محمد الكبير أو ما يعرف بمدرسة خنق النطاح تحفة فنية إسلامية رائعة، يعج بالمصلين كل يوم وكل صلاة خصوصا أنه المسجد الوحيد للحي الذي كان أوروبيا

14– أحد تلاميذ الشيخ الطيب المهاجي، وهو فقيه وحافظ للقرآن الكريم، وكان يصلي وحده غالبا ولا يشاركه إلا تجار الخضر والفواكه في ساحة ميشلي حاليا الذي لم يكن قد بني بعد فكانوا يصلون معه الظهر وأحيانا العصر، وبقي الشيخ الفليتي يعمره ويصلي فيه إلى استرجاع السيادة الوطنية عام 1962م ثم عزل وعوض بآخر إلى أن وافته المنية سنة 1985م، ينظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، ص. ص 55–56.

15–يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص 54.

خالصا مما أضفى عليه مسحة إسلامية بعد سنين الطمس المسيحي الممتدة لأربعة قرون بشقيها الإسباني والفرنسي.[16]

3- الجامع الكبير أو مسجد الباشا:

أ . تاريخه: إنتشييد مسجد الباشا من أضخم الأعمال العمرانية التي قام به الباي محمد الكبير بعد تحرير المدينة هو جامع الباشا[17] حيث أسسه عام 1796م إلى عام 1798م بأمر من باشا الجزائر الداي بابا حسن[18]، تخليدا لفتح وهران الأكبر، وذلك بجوار القصر الأحمر، وحبس عليه عدد كبير من المتاجر والحمامات حوله، كما تشير إلى ذلك اللوحة الرخامية التي نقش عليها تاريخ تأسيسه، والتي توجد بالمتحف البلدي، وقد أوتي بالماء إلى هذا المسجد من عين جارية كانت قريبة منه[19]

ب . موقعه: بُني هذا المسجد في الشمال الشرقي للمدينة القديمة، على الضفة اليمنى الشرقية لوادي الرحى، في سفح شديد الانحدار جنوب غرب برج الأمحال، قبالة حي القصبة على الضفة اليسرى الغربية لواري الرحى، ويجاوره على اليمين الجنوبي حي درب اليهود الذي بني في نفس الفترة تقريبا، ولا يبعد كثيرا عن الميناء البحري.[20]

ج . أوصافه: يتألف مسجد الباشا من قاعة للصلاة متوسطة الحجم مربعة الشكل، تتوسطها قبة عالية وواسعة وبزاويتها الغربية سدة عالية قائمة على أربعة سواري من الرخام الأبيض، وتتخلل القاعة سواري عددها ثلاثة، وأمام المسجد على زاويته الجنوبية الشرقية تقع مئذنته العالية جدا والجميلة بنقوشها وزخرفتها، وهي مثمنة الشكل على عكس باقي منارات مساجد بلدان المغرب والأندلس مربعة الشكل فهي ذات طراز عثماني. ووراء جدار المحراب إلى الشرق استحدثت أماكن للوضوء تحوي سبعة عشر مرحاضا وثلاث حمامات وعشرة حنفيات للوضوء، وجهزت بمسخن للمياه، وعلى يسار المسجد حيث المدخل توجد ساحة نصف دائرية متوسطة الاتساع بها نافورة مياه. وفي أسفل المسجد غربا، توجد الميضأة القديمة التي ألغيت لضيقها وحولت إلى مخزن لأثاث المسجد. وتوجد أيضا في أسفل المسجد مدرسة صغيرة لتعليم القرآن الكريم لها مدخل

16-يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص. ص 57-58.

17-احمد توفيق المدني، المرجع السابق،ص 527.

18-يحكى أن الباشا حسن لما بُشر بفتح وهران سُرّ سرورا كثيرا، ولما رأته زوجته فاطمة وخالتها حل به الطرب العظيم قالتا له كان اللائق بك لإتمام سرورك أن تبني بها جامعا عظيما يبقى ذكرك به مخلدا في الألسنة فعند ذلك أمر الباي ببنائه وبعث له بصندوقين مملوئين مالا واحدا بعد واحد ليصرف ذلك على البناء صحبة أمين البنائين محمد الشرشالي بن بيرت، ولما شرع في بنائه حفر أساسه في بستان تحت البرج الأحمر، فألفى بالأساس قلة معمّرة ذهبا فصرفها في البناء أيضا، وجمع لمنارته حجرا ضخما أتى به السخارة من برج الصبايحية في أربعة أيام متوالية، وكل ما صرفه الباي مفصلا ومجملا مذكور في دفاتره الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، ج1، ص. ص 294-295.

19-يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص 169.

20-يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص 60

خارجي مع منزل لسكنى المعلم، ويجاورها المتجر الصغير الذي كان يبيع فيه التبغ الباي حسن آخر بايات وهران[21]

4- جامع الباي محمد بن عثمان الكبير:

أ . تاريخه: أقام الباي عثمان بن محمد الكبير عامي **1799_1800م**بناءه بجواربرج القصبة إلى الشمال، على الحافة الغربية لواد الرحي وخلد تأسيسه في لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبة، وعندما احتل الفرنسيون وهران عام **1831م** حولوه إلى مستشفى عسكري لسنوات، وبعدتأسيس مستشفى بودانس ألحقوه به، واتخذوا الحمامين الذين بناهمابوشلاغم بجواره مغسلين للجنود الرماة[22]

ب . موقعه: تمّ بناء هذا المسجد في قلب الحي العتيق سيدي الهواري على أرضية منبسطة ومائلة في أسفل سفح جبل المايدة وإلى يمينه على بعد مائتي متر يقع ضريح ومسجد الشيخ محمد بن عمر الهواري، وإلى اليسار شمالا تقع كنيسة القديس لويس التي كانت في الأصل مسجد البيطار وتحولت بعد الاستقلال إلىمركز ثقافي وبجواره مستشفى الحكيم بودانس لأمراض الأعصاب وغير بعيد منه إلى الشمال الشرقي يقع باب كناستيل[23]الذي ما يزال قائما إلى اليوم.[24]

أمّا منارته من المآثر التاريخية الهامة بالمدينة، بشكلها المعماري والهندسي الجميل الذي يعكس الطابع المغاربي في تشييد المنارات المربعة الشكل، نقوشها تعكس الطراز العربي الإسلامي، تقف على بعد أمتار من قاعة الصلاة ولها باب غربي، وثبتت على وجهها الجنوبي لوحة رخامية سجل عليها تاريخ تأسيسها وهو 1207هـ/ 1792م، ويظهر من خلال هذه المئذنة أنه أجمل وأحسن مساجد وهران في الفترة العثمانية، وذلك من خلال الرونقة، والزخرفة، والإبداع الفني، حيث قلدوا في بنائه مساجد المغرب والأندلس،[25] وقامت لجنة دينية عام **1979م** بترميم هذا المسجد بعد أن سلمته لها مصالح الصحة الولائية وأعادت فتحه من جديد[26].

---

21 يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص. ص 60-61.

22- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص 170.

23-باب كناستيليقع غرب القصر الأحمر، ويؤدي إلى حي لابلانسا الإسباني، حيث مقر القنصل الإنجليزي ويلسفورد(WILDSFORD) دفين المقبرة الإسبانية خارج سور القصبة غربا، ونائب القنصل الإسباني GALLADO وما يزال هذا الباب قائما حتى اليوم وبجواره لافتة تدل عليه، ينظر: يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 149.

24- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص 47.

25- مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2009، ص 40.

26- يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، ص 170. / المساجد العتيقة، ص48

ج . أوصافه: يتألف من قاعة للصلاة مربعة الشكل متوسطة الاتساع، تتوسطها قبة مربعة ومسطحة في أعلاها تحوي 24 سارية مربعة الشكل عريضة وقصيرة، بالزاوية الشمالية الشرقية اقتطعت مساحة من القاعة اتخذت بيتا للإمام ولقاعة الصلاة مدخلان واحد على يسارها الشمالي والآخر في مؤخرتها الغربية[27]

5- مسجد وضريح سيدي محمد بن عمر الهواري بحي القصبة:

أ . تاريخه: يعتبر مسجد سيدي محمد بن عمر الهواري أقدم مساجد وهران على الإطلاق، وكان في الأصل زاوية للشيخ الهواري[28]، وبالتالي يعود تأسيس هذا المسجد أو نواته إلى أواخر القرنين الثمن الهجري، الرابع عشر ميلادي، ولا شك أنه أدخلت عليه تحسينات وتصليحات كثيرة عبر التاريخ، ومن الغرابة في شيء أن يبقي عليه الإسبان ولا يهدموه خلال احتلالهم للمدينة ما يقرب من ثلاثة قرون كاملة[29].

ب . موقعه: يتوسط هذا المسجد حي القصبة على الضفة اليسرى الغربية لواري الرحى، أو رأس العين، في أسفل سفح جبل المايدة، الذي يعرف حاليا بجبل مرجاجو، وجبل سيدي عبد القادر. ويجاور هذا المسجد كلا من قصر القصبة وثكناته ومنازله العتيقة وغير بعيد عنه إلى الشمال الشرقي يقع مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير وإلى يمينه الجنوبي يقع جدار المدينة الذي كان يحيط بالقصبة والمدينة، وقد بني على أرض مائلة إلى الشرق، وكان في الأصل زاوية للشيح محمد بن عمر الهواري، يعلم فيه القرآن الكريم ويدرس العلوم العربية والإسلامية ويلقن الأذكار والأوراد لمريديه وأتباعه، وخلفه فيها بعد وفاته تلميذه الشيخ إبراهيم التازي[30]

ج . أوصافه: شكل المسجد مستطيل وتحوي قاعة الصلاة 16 سارية كل اثنتين منها ملتصقة مع بعضها، أقيم عليها سقف المسجد، وله قبة مستطيلة مسطحة كذلك في أعلاها، لها نوافذ على جوانبها الأربعة بزجاج ملونخلف جدار المحراب توجد بيت لإمام المسجد، وأخرى لأثاثه وعلى يسار قاعة الصلاة ساحة صغيرة مربعة، كانت في الأصل مكانا للوضوء، وتستغل في الجمعة والأعياد لاستيعاب المصلين، وفي مؤخرة القاعة سدة خصصت للنساء.

وفي الزاوية الشرقية الجنوبية لقاعة الصلاة توجد مئذنة المسجد لها مدخل ودرج من داخل القاعة، وفي الزاوية الشرقية أسفل قاعة الصلاة يقع ضريح الشيخ الهواري، مؤسس الزاوية والمسجد، ودفن معه عام 1944م مفتي وهران الشي بولحبال.[31]

خاتمة:

27- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، ص 48

28- ولد محمد بن عمر الهواري بكلميتو شرق مدينة مستغانم عام 751هـ/ 1350م، عاش بوهران وتوفي بها عام 843هـ/ 1439م، ينظر: يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص 34.

29- المرجع نفسه، ص 34.

30- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ص 35.

31- المرجع نفسه. ص 35.

في ختام هذه الجولة بين المساجد العثمانية بمدينة وهران تستخلص عدة نتائج من هذا البحث نلخصها في الآتي:

- يعتبر مسجد الشيخ محمد بن عمر الهواري تحفةأثريةوصرحامعماريضاربافيالقدممن بين المآثر العمرانية في وهران باعتباره المسجد الوحيد المتبقي من الفترة الوسيطة، الذي بقي على أصله وعثر عليه بعد تحرير هذه المدينة من الاستعمار الإسباني الصليبي.
- لقد مر الآن على تأسيس هذا المسجد أكثر من ستة قرون كاملة، حيث بقي صامدا في وجه الاحتلال الإسباني ثلاثة قرون والفرنسي قرنا وثلث القرن مواصلا رسالته الدينية والتربوية، وزيادة على هذا فإن له دورا سياحيا يستهوي الزائرين إليه على اختلاف أجناسهم وألوانهم وثقافاتهم، ولا يمكن إعادة الاعتبار لماضي مدينة وهران، وبعث أمجادها، وإبراز وجهها الإسلامي المشرق، إلا بإعادة الاعتبار لهذا المسجد، وتنشيط الحياة الدينية والثقافية فيه على مدار السنة بواسطة إطار ديني حيوي نشيط وهادف
- أما مسجد البرانية فان كفاحه وصراعه ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي على مدى ثلاثة قرون يوضح بجلاء مدى ما عانته مساجد الجزائر عموما ووهران خصوصا من محاولات للهدم والتخريب والطمس والتحويل إلى كنائس وإصطبلات ومساكن وثكنات ويمثل درسا ونموذجا لكفاح وجهاد المساجد والقائمين عليها ضد الاستعمار وسياسة التنصير والتمسيح والتخريب لكل معالم الحضارة الإسلامية بالجزائر
- مسجد ومدرسة خنق النطاح هو الآخر عنوان للصمود في وجه التواجد الأوربي الكثيف حوله ومنعه من أداء رسالته ومحاولة هدمه إلاأن كلمة الله هي العليا وشاء أن يبقى قائما ليعود إلى دوره الديني والتربوي
- مسجد الباشا أو المسجد الأعظم يعد بحق نقلة نوعية شهدتها المدينة المحررة من الإسبان حيث شيد بأموال ضخمة وتفنن البناؤون في تزيينه وإظهاره بأبهى حلة ليكون بمستوى الحدث الكبير وهو استعادة وهران وضمها إلى القطر الجزائري عربية إسلامية لا أوروبية مسيحية فقد تخرج منه جملة من الفقهاء والأعلام وبقي صامدا في وجه الاحتلال الفرنسي رغم مصادرة أوقافه والتضييق على أئمته، لكنه اليوم يعاني الإهمال والإغلاق نظرا لتدهور أرضيته منذ سنة 2011م ما يستدعي اليوم التفاتة من كل الجهات المعنية لترميمه وإعادة افتتاحه من جديد.
- أمامسجد الباي فان وجوده في حي سيدي الهواري أو حي القصبة له أهمية خاصة لأنه يضفي عليه قيمة تاريخية وحضارية ويبعث فيه الحيوية والنشاط من جديد ويعطي للمدينة وجها إسلاميا أصيلا وهذا ما يدعوا إلى إعادة ما اقتطع من مساحات ومباني محيطة به ليؤسس عليها مركز ثقافي إسلامي يكمل دور المسجد الديني والتربوي، أما المئذنة فهي تحفة معمارية وفنية وأثرية غاية في الروعة ينبغي ترميمها الحفاظ عليها بإزالة ما يحيط بها من مبان تشوه صورتها.
- جدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في وهران على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كتب عنه، على الرغم من قصر فترة الحكم العثماني، ذلك أن الدراسات التي قام بها الفرنسيون أهملت تلك الفترة، ومن ناحية أخرى فان أعمال الهدم والتخريب والطمس التي طالت معظم مباني الفترة العثمانية ساهمت في ضياع هذا النشاط العمراني، ومع ذلك فان ما بقي منها يعد من الشواهد الأثرية الهامة التي نستقي منها الخصائص

الفنية والمعمارية لطراز تلك الفترة، تتقدمها المباني الدينية وأبرزها المساجد.إن القيمة التاريخية لهذه المساجد العتيقة لا تقل أهمية عن القيمة الدينية والروحية التي أسست لأجلها وبالتالي فهي دور عبادة وآثار قائمة، وتاريخ يروى ومشروع استثمار سياحي في آن واحد.

الملاحق:

الملحق رقم 01[32]:



مسجد البرانية أو بني عامر (حاليا أبو عبيدة عامر بن الجراح)

32من تصوير الباحث بتاريخ 27-02-2018م

الملحق رقم 02[33]:





مسجد ومدرسة الباي محمد الكبير بخنق النطاح

33من تصوير الباحث بتاريخ 04-04-2018م

الملحق رقم 03[34]:





34من تصوير الباحث 22 فيفري 2018م

مسجد الباشا أو المسجدالأعظم

الملحق رقم 04[35]:



35من تصوير الباحث بتاريخ 22-02-2018م

36 من تصوير الباحث 22 فيفري 2018م



مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير

الملحق رقم 06[37]:

37من تصوير الباحث 22 فيفري 2018م



منارة الجوهرة داخل باحة مسجد محمد الباي عثمان الكبير بحي سيدي الهواري

الملحق رقم 07[38]:



مسجد الإمام الهواري

38منتصويرالباحث 22 فيفري 2018م

مراجع البحث:

1. أبو عبيد البكري، توفي سنة 417هـ/ 1026م، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دارالكتاب الإسلامي، القاهرة، جويلية 1837م.
2. أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ت. المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013م، الجزائر.
3. احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار البعث، د. س. ط، قسنطينة، الجزائر.
4. الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعدالسعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ت. يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي ج1، ط1، 1990م، بيروت، لبنان.
5. بلبراوات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779–1797م)، مذكرة ماجستير، جامعةوهران، 2002.
6. شرقي وردة، مدينة وهران خلال العصر الوسيط (290–915هـ/902–1509م)، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف عبد العزيز فيلالي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1433–1434هـ/2012–2013م.
7. مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية، 2009.
8. محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ت. محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2، 1981م.
9. يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،ط. خاصة، 2009م.
10. يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، جويلية، ط2، 2008.